

تأثير عقوبة السجن على أسر السجناء

أ. بلعيساوي الطاهر

– جامعة جيجل – الجزائر

البريد الإلكتروني: belltaher@yahoo.fr

ملخص:

إن تأثير عقوبة السجن على أسر السجناء في الجزائر تطرح الكثير من الجوانب التي ينبغي التنبيه إليها، والغوص في أعماقها، ودراستها دراسة معمقة خصوصا في ضل الأوضاع الحالية التي تشهد ارتفاعا كبيرا في معدلات الجريمة، ومما لا شك فيه أن تزايد الجريمة بهذا الكم الهائل في مجتمعنا ساهم في ارتفاع نسبة المحبوسين داخل السجون الجزائرية، وهذا ما يعني أن هناك العديد من أسر هؤلاء المحبوسين قد تأثرت نتيجة قضاء احد افرادها عقوبة السجن، ومن بين هذه التأثيرات اضطراب علاقة زوجة السجن بأبنائها، وتعرض زوجات السجناء للضغوطات النفسية كالقلق والخوف والاكتئاب والشعور بالنقص والميل الى الوحدة والعزلة، كذلك تعطيل الأسرة للقيام بوظيفتها في رعاية الأبناء وتنشئتهم، وهذا ما تم كشفه من خلال هذه الورقة البحثية، والتي تعد إسهامة متواضعة من اجل الكشف عن تأثير عقوبة السجن على أسر السجناء .

الكلمات المفتاحية: السجن – السجناء –أسر السجناء.

Impact of prison sentence on prisoners' families

Abstract:

The impact on the families of prison inmates in Algeria poses a lot of aspects to be alert to, diving into its depths, and the in-depth study, especially in the current situation which has gone astray, Basics of the current conditions of a significant rise in crime rates, there is no doubt that the spread of organized crime in this immense within our society has contributed to the high proportion of detainees in prisons, This means that there are many families of these detainees have been affected as a result of spending a prison sentence, the prisoner's wife relationship disorder effects in children, The wives of the prisoners to mental stressors such as anxiety, fear, depression, feeling of inferiority and propensity to unity and isolation, as well as disable the family function in childcare and upbringing.

Keywords: prison - prisoners - prisoners' families

مقدمة

إن الحديث عن عقوبة السجن داخل المجتمع الجزائري وخصوصا في ظل التغيرات الاجتماعية الحالية والمليئة بمختلف أشكال السلوك الانحرافي والإجرامي، يقودنا الاهتمام والبحث في أسر هؤلاء الأشخاص الذين ارتكبوا هذه السلوكيات وتم إيداعهم في السجن، فمن المسلم به أن عقوبة السجن لها تأثيرات عديدة على أسرة السجين، سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو النفسية أو الصحية، كما أن البحث في هذه التأثيرات أصبح من الضروري في العلوم الاجتماعية، وهذا نظرا لما تحمله عقوبة السجن من آثار سلبية تعود على الأسرة والمجتمع الجزائري بصفة عامة، ويظهر لنا هذا جليا خاصة عندما يودع عائل الأسرة أو احد أفرادها السجن، فتهتز مكانة الأسرة الاجتماعية، ويلحق بها وصم وتتأثر مواردها الاقتصادية ويلحق الاضطراب بنائها الاجتماعي بصورة قد تصل إلى التفكك الكامل.

إن تحمل الأسرة مسئولية ما حدث من جراء تصرف السجين يعد عقوبة عن تصرف خطأ لم ترتكبه في الأساس، فإن أخطأ السجين في حق نفسه، أو في حق المجتمع فإنه يدفع ثمن ذلك من حريته، ومن ثم فلا ينبغي أن يمنع هو أو ذوهه الحق في استمرارية التواصل فيما بينهم، ولا ينبغي أن تلقى الأسرة المشقة والصعوبات حتى تصبح بيئة لتنشئة أبناء متسربين من المدارس وخارجين عن القانون، وهذا ما نصت عليه المادة 23 فقرة (1) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية¹، والتي تؤكد فيها صحة وضرورة المحافظة على هذا الكيان والذي يعد النواة الرئيسية للمجتمع، ومن ثم العمل على إزالة كافة العقبات والمشكلات التي تواجه كيان وهيكل هذه النواة، كما أن الدستور الجزائري نص على وجوب حماية الأسرة في المادة 58 من الدستور الحالي " تحظى الأسرة بحماية الدولة والمجتمع ".²

إن تأثير عقوبة السجن على أسر السجناء في الجزائر تطرح الكثير من الجوانب التي ينبغي التنبيه لها، والغوص في أعماقها، ودراستها دراسة معمقة خصوصا في الأوضاع الحالية العويصة التي يعيشها المجتمع الجزائري بعد العشرية السوداء واستفحال الجريمة وانتشارها، فالإحصائيات تشير إلى ارتفاع نسبة الجريمة مقارنة بالسنوات الماضية، فقد أحصت مصالح الدرك الوطني أزيد من 200 ألف جريمة خلال سنة 2011 منها أربعة 4 آلاف جنائية و56 ألف جنحة، وهو ما يعادل معالجة 100 قضية في اليوم خلال نفس السنة.³ كما أحصت أيضا مصالح الدرك الوطني أكثر من ثلاثة آلاف حالة قتل عبر التراب الوطني خلال نفس السنة.⁴ كما كشفت أيضا أرقام مصالح الدرك الوطني عن توقيف 71.576 شخصا تورطوا في مختلف الجرائم عبر الوطن خلال العشرة أشهر من سنة 2013، أي بمعدل 231 جريمة في اليوم، و 10 جرائم في الساعة.⁵

ومما لا شك فيه أن انتشار الجريمة بهذا العدد الهائل داخل مجتمعنا ساهم في ارتفاع نسبة المحبوسين داخل السجون الجزائرية، إذ انه يوجد في المؤسسات العقابية حاليا زهاء 58 ألف سجين،⁶ وهذا ما يعني أن هناك العديد من أسر هؤلاء المحبوسين تواجه مشكلات نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو صحية، كما يمكن القول ان هذه الأسر من أكثر فئات المجتمع احتياجا لتقديم المساعدة والرعاية من طرف الدولة والمجتمع، نظرا ل حجم المعاناة التي تتلقاها هاته الأسر نتيجة سجن أحد أفرادها وما ينكبونه من مشقة

وعناء في إصلاح ما جناه عليهم الآخرون، لذا أصبح من الضروري حماية هذه الأسر لكي لا تكون مصدر إنشاء أبناء منحرفين ومجرمين، ومصدر يهدد سلامة وأمن المجتمع .
لذا سنحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء حول كيفية تأثير عقوبة السجن على أسر السجناء، وهذا من خلال إبراز تأثير عقوبة السجن على زوجة السجين وعلى الأطفال، وتأثير عقوبة السجن على الوالدين.

1- تأثيرات عقوبة السجن على زوجة السجين:

ان رب الاسرة في المجتمع الجزائري يمثل أهمية كبرى بالنسبة لأفرادها، فهو يعتبر الأساس وأحد عوامل تماسكها، فهو العائل الاقتصادي، وهو يمثل سلطة الضبط الاجتماعي فيها، ويدخل رب الاسرة الى السجن قد تنهار الاسرة وتواجه العديد من الاتار السلبية، ومن بينها نذكر ما يلي:
أ- اضطراب علاقة زوجة السجين بأبنائها:

تظهر هذه المشكلة بين أسرة السجين بعد سجن عائلها وهي قد ترجع إلى أن الأب هو عائل الأسرة، يكون مصدر الضبط والتوجيه قبل سجنه، وبعد السجن تصبح الأم أو الابن الأكبر هو مصدر الضبط والتوجيه، ومن هنا تبدأ مشكلة العلاقات فقد تكون الأم ضعيفة الشخصية، أو قد تضطر للعمل وإن كان غير مناسب من ناحية الأجر أو النوع، ومن هنا يختل مصدر الضبط والتوجيه لعدم توافر عنصر الوقت والجهد لممارسة هذا الدور، وقد يكون الابن الأكبر غير مدرك لوظيفة هذا الدور ومواصفاته وتبدأ مشكلات عدم التوافق بين أفراد الأسرة والتي تعتبر الأساس الأول في ظهور مشكلات مترابطة من الانحرافات بين أفراد الأسرة، إضافة إلى ذلك فإن عدم تقدير كل فرد الأسرة للمسؤوليات الجديدة التي تظهر بعد دخول الأب الى السجن عامل من العوامل التي قد تؤدي إلى الكثير من الخلافات بين الأبناء وانشغال كل منهم بالمشكلات الفرعية دون التفكير في مستقبل الأسرة.⁷

فأطفال المسجونين يتعرضون إلى تجارب حرمان مادي ومعنوي، تبلغ حداً بعيداً من القسوة قد لا يعيها البالغين، وذلك نتيجة لتضاعف إحساسهم بالحرمان من غياب الأب ومن الجو العائلي والعلاقة الأسرية المتكاملة، ومن انعدام راحة بال الأم التي غالباً ما تقضي وقتها إما قلقاً أو تعمل، ومن الإحساس بالأمان، هذا إلى جانب إمكانية تأزم الأسرة مادياً بسبب النفقات التي تتحملها الأسرة في سبيل السجين ، كما يمكن أن يشعر الطفل بالنزب الاجتماعي سواء من الجيران أو المحيطين به.⁸

فغياب الأب لا يؤثر في الطفل فقط بشكل مباشر ، بل تؤثر فيه أيضاً عن طريق الأم التي تتأثر بغياب الأب عن الأسرة وتؤثر بدورها في أبنائها وفي معاملتها وتفاعلها معهم وفي تنشئتهم الاجتماعية بشكل عام، فالأم المعيلة للأسرة وحدها تقع في صراع بين التذليل الزائد والقصور في معاملة أبنائها فهي تريد أن تعطي صورة نموذجية عن إدارتها للمنزل والأبناء، ولا تريد أن تشعرهم بالقصور الناتج عن غياب الأب، فقد تلجأ إلى التذليل الزائد أو القسوة المفرطة كرد فعل وتخوف من أن ينقلب زمام الأسرة باعتبارها ربة الأسرة وتمثل السلطة الضابطة فيها، كما يرتبط الأب ارتباطاً جوهرياً بتعديل سلوك الأم اتجاه أبنائها حيث أشارت بعض الدراسات إلى أن الأمهات في الأسرة غائبة الأب يقدمن مودة وعاطفة أكثر لأطفالهن كما أنهن أكثر اعتماداً

على الآخرين لمساندتهم أثناء غياب الأب، كما اتضح أن الأم تستخدم مع أطفالها أثناء غياب الأب أساليب للمعاملة مختلفة نسبياً عن تلك التي تستخدمها معهم أثناء وجود الأب.⁹

من خلال ما سبق يمكن القول ان عقوبة السجن لها تأثيرات سلبية على ظروف حياة زوجات اسر السجناء، نتيجة لضغوط الأدوار التي تتعرض لها ونتيجة غياب الزوج، ومما يترتب على ذلك ظهور العديد من مظاهر اضطراب العلاقة الاجتماعية بين زوجة السجن والابناء ويتضح ذلك جليا في المظاهر الاتية:

- ضعف علاقة الأبناء بالأم، حيث تقع زوجة السجن في حيرة وصراع بين التذليل الزائد أو القسوة المفرطة في تنشئة الأبناء وتربيتهم.
- تجاهل الأبناء لسلطة الأم، وعدم تقدير كل واحد منهم للمسؤوليات الجديدة والملقاة على عاتقهم.
- إذا كانت شخصية الأم ضعيفة وعدم مبالاتها بما يدور حولها يجعل الفرصة مهيأة لمزيد من التفكك الأسري، وظهور السلوكيات الانحرافية عند الأبناء كالسرقة، والكذب، والتسرب المدرسي، ومصاحبة رفاق السوء، والميل إلى التخريب والانتقام... كل ذلك يؤدي إلى اضطراب العلاقة الاجتماعية بين زوجة السجن والابناء.

وهكذا بين الرغبة في الحنو والميل إلى القسوة، وبين الحماية والتذليل والميل إلى الشدة والضغط تتصارع القوى الداخلية للام فهي الآن مصدر الحماية والأمان وفي ذات الوقت مصدر الضبط والتحكم وهي في طريقها للموازنة بين هذا وذاك، تتزايد عليها ضغط الدور، وتتصارع داخلها مسؤوليات الدور وقد تشعر أحيانا بعدم القدرة على تكامل مجموعة الدور مما قد يجعلها تقع فريسة اللاتوافق الاجتماعي والنفسي وتضطرب العلاقة بينها وبين أبنائها بشكل واضح خاصة إذا أضفنا بعدا آخر أنثويا فهي تحتاج إلى الزوج المحب الحنون والذي غاب عنها وهي في مقتبل الشباب وأطفالها ما زالوا أغصان خضراء صغيرة تحتاج للماء والغذاء والحماية والحنان، لذلك نجد أن هناك اضطرابا أو شرخا في البيئة الأسرية الخاصة عند السجن المتزوج، فالاعتقال يتسبب بإعادة توزيع عنيف وإلزامي للأدوار داخل الأسرة مع ما يترتب عن ذلك من توترات وإعادة لتوزيع المهام، فيؤدي ابتعاد الأب بقيام الزوجة بمهامه على مستوى العمل لتأمين مورد وتوفير احتياجات الأسرة من كل النواحي والاهتمام بمدارس الأبناء ومشكلاتهم والعلاقات مع المحيط، كما تضطلع الزوجة بدور نشط من أجل العمل على مساعدة الزوج للخروج من السجن أو لتأمين احتياجاته، والتنسيق مع أهالي وزوجات السجناء الآخرين، والاتصال بلجان حقوق الإنسان والتنظيمات المهمة بموضوع السجن، إن ذلك كله ينعكس على دور الزوجة إذ نتعرف عندها على وجه جديد مما يتسبب في حصول صيرورة من تقييم الذات تكون معاكسة تماما لما حصل للزوج في السجن، كذلك الأمر مع الطفل الذي يعتاد غياب الأب ويتحمل باكرا بعض المهام الوالدية لمواجهة الوضع المستجد وهو يكبر بمقدار ما يتحمل من مهام تجاه الأطفال الأصغر منه سنا مع كل ما يشعر به من قلق وخوف ومشاعر التهميش.¹⁰

كما يمكن القول انه في حالة ان استطاعت الزوجة التأقلم مع هذا الوضع الجديد، فهناك عقبات وعراقيل تجدها أمامها تعيق سير حياتها وحيات أبنائها، فعندما تريد مثلا استخراج وثائق إدارية لأحد الأبناء أو أي وثيقة أخرى، فإنها تجد صعوبة في ذلك لأن انتهاء هذه الأمور تتطلب حضور الزوج، ولكن أين الزوج؟ هذه المعاناة التي تجدها الزوجة وأبناؤها بسبب سجن الزوج لا يجب أن تحدث، فليس لهم ذنب فيما

ارتكبه الزوج، ولا يجب أن يعاقبوا بطريقة غير مباشرة، كما أن حياتهم يجب ألا تتوقف بمجرد سجن عائل الأسرة، والذي يكون في اغلب الاحيان داخل الاسرة الجزائرية هو الاب.

ب-القلق Anxiety

ومن الضغوطات النفسية التي تعاني منها زوجات السجناء قلقهن على مستقبل أبنائهن ومستقبل أزواجهن، فمنهن من تعبر عن قل قها على مصير زوجها من حيث مآل السجن على وضعه الصحي والنفسي والجسمي خاصة تأثير التعذيب عليه والإساءة والممارسة الوحشية ضده، وما ينتج عنه ظروف السجن كالرطوبة وقلة التغذية وانتشار الأمراض، ومنهن من تعبر عن قلقها على مستقبل زوجها الأكاديمي والمهني، وأكدت زوجات السجناء أن أصعب الأوقات التي يعانين فيها هي أوقات الأعياد والمناسبات وخاصة شهر رمضان فيزداد حزنهن وغضبهن وخاصة التي لديها أطفال، كما تحدثت زوجات السجناء عن قلقهن الزائد على أطفالهن وحمايتهن الزائدة لهن ويتضح من رغبة الزوجات في مضاعفة تعويضهن حنان الأب المسجون والحفاظ على ما تبقى من ارثه الثمين وحاجتهن أنفسهن لهذه العلاقة الحميمة ليستشعرن بالقرب من الزوج الأسير، حيث يعد حلقة الوصل الهامة مع الزوج وخير يصلها به وجدانيا. ¹¹

كشفت دراسة "ماكوين" عام 1975 والتي أجريت على (215) عائلة من عوائل سجناء الحرب والمفقودين في جنوب شرق آسيا، حيث وجدوا أن (120) من الزوجات أي (27,3%) قررن أن فقدان صحبة الزوج هو من اشد الصعوبات التي واجهتهن بعد اسر الزوج، و (48,2%) عانين صعوبات مشاعر الوحدة الشديدة، و (39,8%) واجهن مشكلات في اتخاذهن قرارات بمفردهن، و (27,7%) عيرن عن عدم وجود متنفس اجتماعي ملائم، بينما عبرت (10,8%) عن قلقهن حول الصحة و (4,2%) أبدين قلقهن حول الأطفال، وقد تضاعفت المسؤوليات التقليدية للزوجة والتي كانت كنتيجة لهذا الموقف أصبح مطلوبا منها القيام بدور مزدوج (الأب / الأم) (18,1%) ضبط وتأديب الأطفال وتربيتهم (18,7%) إدارة الشؤون المالية للأسرة و (13,9%) كانت عندهن مشاكل إضافية أخرى.

ومن مظاهر القلق التي تعاني منه أيضا زوجة السجين، القلق حول إعادة لم شمل الاسرة حيث أن قلق الزوجة حول فترة ما بعد العودة (الزوج المسجون) يتعلق برد فعل الزوج تجاه استقلاليتها المتزايدة. ¹²

ومع طول فترة سجن الزوج يزداد قلق الزوجة وخوفها من سرقة العمر وسرقة الذكريات الجميلة وافتقادها الحبيب والأب والزوج والسند، مما يزيد من شعورها بضياح المشاعر وخيبة الأمل والخوف من المستقبل المجهول والتردد في اتخاذ القرارات الهامة في حياتها وحياة أسرتها فالأحلام التي بنتها في مخيلتها وفارس الأحلام التي اختارت أن تكمل حياتها معه يغيب عنها قصرا ففتتحطم أحلامها عند صخرة السجن، وبهذا فهي تعيش على أمل الإفراج عن زوجها المسجون وبذلك فان زوجات السجناء هن نساء قدّر الله لهن أن يعشن ظروفًا أقوى من قدرة تحملهن ويتمنين كلما تحين لحظة الشوق والاحتياج أن يتخلصن من عبء يتقل صدورهن ومن حرمان يعيش داخلهن وفي عيون أطفالهن. ¹³

ج-الخوف

من مظاهر الخوف عند زوجات المسجونين نذكر ما يلي:

- فقدان الأمن والأمان بسبب قضاء الزوج فترة عقوبة السجن، والذي يمثل مصدر القوة ومصدر الدفء العاطفي للزوجة وأبنائها.
- خوف الزوجة على صحة الاب المسجون، وخوفها من المستقبل المجهول للأسرة وما ينتظرها من مشكلات، كذلك تخشى الزوجة من كلام الآخرين.
- الخوف من الفشل في أداء الأدوار الجديدة من تربية الأولاد وتلبية احتياجاتهم.
- الخوف من تدخل أهلها أو أهل زوجها في شئون حياتها، والتدخل في مطالب الأبناء أو اتخاذ القرارات الهامة في حياتها.
- الخوف من التحرش الجنسي بها، وبممتلكات زوجها المسجون.
- وبالرغم من أن الخوف إذا زاد عن حده الطبيعي قد يؤدي إلى أن يكون بيئة خصبة لمرض نفسي أو أكثر، إلا أنه في نفس الوقت قد يكون ايجابيا إذا استغله الإنسان، ويعطي حافزا لأن ينجز ما يقع عليه من ادوار بصورة أفضل.¹⁴

د-الشعور بالنقص: Inferiority

يتمثل شعور زوجة السجن بالنقص عادة في حالة احساسها بالعيب والعار نتيجة سجن الزوج، ويتعاطم ذلك الإحساس السلبي كلما كانت الجريمة تمس الشرف، فهذه الزوجة لا تعرف من أي اتجاه تأتيها حمم بركان العيب، فمرة من أهلها، ومرة من أقاربها، ومرة أخرى من صديقاتها والمحيطين بها، وأخرى من المجتمع كله هذه الحمم البركانية لا ترحم، تلهبها بنارها طالما زوجها يقبع خلف القضبان.

وينشا الشعور بالنقص لدى زوجة السجن نتيجة للقيود التي يفرضها المجتمع عليها فهي امرأة تغيب عنها زوجها قصرا، فتصبح أسيرة القيود المجتمعية ومحط أنظار الآخرين، فهي تعاني من نظرات الناس لها ومراقبة تصرفاتها فتجد نفسها حزينة مكتئبة تفتقد صحبة زوجها في المشكلات التي تواجهها فتجد نفسها غير سعيدة في المناسبات الاجتماعية، وتجد نفسها حائرة وقد تبخرت أحلامها بسجن زوجها، فهي ليست كباقي النساء فهي تقوم بدور مزدوج وصعب، ألا وهو دور الأم والأب، وهذا يؤدي إلى استجابات تظهر على زوجة السجن كخوفها الشديد من تحمل المسؤولية والقلق على مستقبل زوجها وأسرته ويولد شعورها بالخوف والقلق لميلها إلى العزلة والانسحاب فتصبح مكتئبة وتصبح نظرتها تشاؤمية للحياة، وتفقد قدر كبير من تقديرها لذاتها. وسنوضح في العنصر التالي أحد استجابات شعور زوجة السجن بالنقص، والذي يجعلها تعاني من الاكتئاب والعجز والفشل عن مواجهة ضغوط الحياة وهمومها.¹⁵

هـ- الاكتئاب: Depression

الاكتئاب هو أحد أكثر الأمراض النفسية انتشاراً في الوقت الحالي، وتؤكد الدراسات العلمية ارتفاع نسبة حدوثه في المستقبل والاكتئاب مرض يؤثر بطريقة سلبية على طريقة التفكير والتصرف، ويصاب بالاكتئاب الذكور والإناث على حد سواء، وإن كانت الإناث أكثر استعداداً للإصابة به لأسباب بيولوجية، كما يصاب به الصغار والكبار والمسنون دون فرق لمستوى التعليم والثقافة ولا المستوى المادي فجميع عرضة للإصابة به.¹⁶

ومما يؤكد أن الاكتئاب إحدى المشاكل الرئيسية التي تعاني منها زوجة السجن، ما بينته دراسة " ماكوين " عام 1975 على زوجات الأسرى الأمريكيين في حرب فيتنام، حيث لوحظ أن من المؤشرات الإضافية للواقع النفسي لزوجات الأسير هو أن أكثر من نصف الزوجات، (58,2%) قد تناولن المهدئات خلال فترة غياب الزوج و(53,2%) شعرن بنقصان في أوزانهن - 15 رطل أو أكثر-، وبنسبة (51,8%) من الزوجات اللاتي كن يدخن، وأشار ان (32,9%) أنهن بدأت يدخن بصورة أكبر بعد اسر الزوج. و(90%) تقريبا تناولن شيئاً من الكحول، و(23,8%) من هؤلاء تبين أنهن يشربن بصورة أكثر تكراراً بعد الحادث، و (6,7%) من الزوجات فإن الإدمان الكحولي يعتبر مسألة كامنة إن لم تكن مشكلة موجودة فعلاً، وإن الإحساس المتكرر بعدم جدوى الحياة كان لدى (40,5%). و(37,2%) تبين أن أفكاراً انتحارية مرت بهن خلال فترة غياب الزوج، رغم أن (16,4%) شعرن برغبة حقيقية في الانتحار.¹⁷

و- الميل إلى الوحدة والانعزال

ان الكثير من عوائل المسجونين قد وصمت بعلامة وافردت، فعلى سبيل المثال نجد أن بعض العوائل تشعر أنها أصبحت محط الاهتمام من قبل العامة في أي مكان، وتوجه نحوهم نظرات طويلة من قبل الغرباء واغلبها نظرات فضول وتعجب، والكثير من الزوجات يكتشفن عملياً بأنهن لا يملكن دوراً اجتماعياً مقبولاً بسبب الغموض واللبس الذي يحيط بحالتهم الزوجية، وبسبب ذلك الاهتمام غير الاعتيادي تلجأ الكثير من العوائل نحو عزل أنفسهم عن الأصدقاء والمجتمع لإبعاد أنفسهم عن تلك المراقبة، وفوق ذلك فإن أغلب العوائل تشعر بلن لا أحد يفهم ماذا تعاني، وماذا تواجه، وعليه فلما الاهتمام بالاختلاط مع الآخرين.

18

هذا وقد أشارت دراسة كل من " ديكيل وراشيل " عام 2007 في المجتمع الأمريكي أن زوجات أسرى الحرب قد سجلوا مستويات عالية من الضغوط، وزيادة أكثر من زوجات الفصائل الأخرى، وأيضاً مستويات مرتفعة من التجنب والقلق والانطواء الاجتماعي وتجنب المشاركة الإيجابية في المجتمع.¹⁹

بينما أشارت دراسة " نورية الخرافي " عام 1997 المطبقة على الزوجات اللاتي فقدن أزواجهن في ظروف طبيعية وغير طبيعية في المجتمع الكويتي أيضاً أن أثر انخفاض مستوى شعور الأم بالوحدة النفسية

على مستوى التوافق الشخصي لأطفالها، إذ أن كلما ارتفع شعور الأم بالوحدة النفسية انخفض مستوى التوافق لدى الأطفال، وأوضحت الدراسة أن درجة التوافق الاجتماعي لأطفال زوجات الأسرى والقدرة على التفاعل الايجابي مع الآخرين قد تأثر سلباً وبدرجة كبيرة لحالة الأم وشعورها المرتفع بالوحدة النفسية، وذلك بمقارنتهم بأطفال الأمهات الأقل إحساساً بها حيث ارتفعت درجة التوافق الاجتماعي لأطفالهن .²⁰ ومما سبق يمكن القول أن شعور الزوجة بالوحدة والميل إلى العزلة والعزوف عن الحياة الاجتماعية، والرغبة في سجن الذات وإحاطة الأبناء بمزيد من الحماية، وفرض قيود صارمة على خروجهم من المنزل أو تفاعلاتهم مع الآخرين بشكل مرضي، أمر قد يشكل تهديداً للبناء الداخلي لزوجة السجن، وأيضاً لأبنائها فهم في سجن حقيقي إرادي، وهذا ما قد يجعلنا ان نطلق على هذا النسق بـ " الأسرة السجينة "

2-تأثيرات عقوبة السجن على الأطفال:

لا يستطيع الطفل أن يعيش حياته العادية بدون الوالدين، فهو بحاجة لهما لتوفير الأمن والأمان والمحبة وتأمين حياته وما يؤهله للحياة الطبيعية، وتزداد حاجة الطفل للوالدين في ظل الظروف الصاغطة المحيطة به، والتي يفقد الطفل بها الأمن وتشعره بجو من الرهبة والرعب، وتزداد حاجة الطفل للوالدين أكثر فأكثر عندما يعاني الطفل من الضغط والقلق، فالوالدين أكثر الأشخاص الذين يستطيعون تقديم الدعم والمساعدة للطفل، لأنهم مصدر عطاء وثقة وأمن واهتمام²¹

ويمثل الأب قيمة هامة في عملية التفاعل العائلي والاجتماعي ، لأن شعور الطفل تجاه والده وتقديره له وعلاقته به أمراً له أهمية في تكوين سلوكه وفي تكيفه وتمتعته بالأمن والاستقرار النفسي، ومهمة الأب في تربية الطفل لا تقل أهمية عن تربية الأم له، ففي خلال فترات النمو تبنى أسس شخصية الطفل من خلال الأعمال المشتركة بين الأب والأبناء، والتي تساعد الأبناء على تكوين صورة حقيقية عن خصائص الأب وصفاته، وبالتالي تعمل على تكامل شخصية الطفل واستقراره النفسي، وهناك ضرورة لوجود مثل هذا التفاعل و الاتصال النفسي والاجتماعي الدائم بين الأب والأبناء، إذا عن طريق الاتصال يحس الأبناء و يشعرون بمدى الاهتمام و الرعاية والعناية من قبل الأب للأبناء.²²

وإن الاتصال النفسي الدائم بين الطفل والأب أمر ضروري وصارم إذا عن طريق هذا الاتصال يحس الطفل ويشعر بمدى اهتمام الأب له ورعايته والعناية به، ويخطئ الوالد كثيراً إذا شغلته متاعب الحياة عن أسرته، وقضى معظم وقته بعيداً عن الأسرة تاركاً الأم وحدها لأن دور الأب مختلف لحد ما عن دور الأم، ولا تستطيع الأم أن تعوض للطفل النقص الذي ينشأ عن غياب الأب أو عدم العناية والإشراف عليه.²³

يؤثر الوضع الاقتصادي للأسرة على الصحة النفسية الخاصة بالطفل والاضطرابات السلوكية، إذ تنتشر الاضطرابات السلوكية بين الأطفال الذين يعيشون في بيئات فقيرة، وإن الفقر يدفع الوالدين إلى استخدام أساليب تشنئة خاطئة تؤدي إلى تفاقم الاضطرابات السلوكية، مثل القسوة وعدم الاستجابة لحاجات الطفل،

مما يؤدي إلى تعرض الوالدين لأعراض اكتئابيه نتيجة الفشل في الوصول على المساعدة الاجتماعية لتجاوز الضغوط النفسية والاجتماعية.²⁴

ان قضاء الأب أو العائل الوحيد للأسرة عقوبة السجن يستنزف المصادر الاقتصادية، ويبدد من الموارد التي ينبغي تخصيصها لتعليم الأطفال أو الصحة أو حاجات الأسرة الأساسية من المأكل والمشرب والملبس التي قد يضاف إليها مصاريف المحاكم ومخصصات الأب أو العائل داخل السجن، ونتيجة لذلك تنشأ حلقة مفرغة من الحرمان المادي والنفسي والعاطفي والذي يمكن أن يؤدي إلى جرائم انحراف أو عنق أو في كثير من الحالات يكون عقبة من عواقب تنمية الأسرة وعيشها حياة طبيعية وكريمة.²⁵

فأطفال المسجونين يتعرضون إلى تجارب حرمان مادي ومعنوي، تتبلغ حدا بعيدا من القسوة قد لا يعيها البالغين، وذلك نتيجة لتضاعف إحساسهم بالحرمان من غياب العائل أو الأب ومن الجو العائلي ومن الإحساس بالأمان والعلاقة الأسرية المتكاملة، ومن انعدام راحة بال الأم التي غالبا ما تقتضي وقتها إما قلقا أو تعمل، هذا إلى جانب إمكانية تأزم الأسرة ماديا بسبب النفقات التي تتحملها الأسرة في سبيل السجنين، كما يمكن أن يشعر الطفل بالنبذ الاجتماعي سواء من الجيران والمحيطين به.²⁶

كل هذه العوامل تشكل ضغوط على أطفال المسجونين مما يسبب لهم مشاكل نفسية غالبا ما تؤدي إلى الانكسار والضعف والغضب والتمرد والتسرب المدرسي.

ودور الأب في حياة الطفل يمكن إبرازه في أمور عدة لعل إبرازها هو الدور الذي يقوم به الأب في حياة الطفل النفسية، وخاصة في نمو هوية الدور الجنسي الملائم، حيث أن التواجد مع الوالد من نفس الجنس يقوم بدور هام في التتميط الجنسي، كما أن الأطفال في سن مبكرة يبدؤون في إدراك العلاقات بين الجنسين وتميزها، والأب لا يسهم فقط في بلورة الدور الجنسي للطفل الذكر، بل يسهم أيضا في شعور بناته بأدوارهن الجنسية، كما يقوم الأب بدور هام في تكوين الذات العليا والضمير للطفل بناء على درجة استمجاها لشخصية الأب وتوحده به، و لعل وجود الصورة الأبوية القوية هو شيء ضروري للنمو

الاجتماعي السعيد للطفل، ولا يمكن لهذه أن تعوضها أي مجهودات إضافية تعويضية من جانب الأم.²⁷ ويعد غياب الأب أو فقدانه متغيرا شديدا التأثير على تعطيل الأسرة لوظيفتها في رعاية الأبناء وتنشئتهم، وفي ذلك يؤكد علماء الاجتماع وعلماء النفس والاختصاصيون والاكليينكيون أن الأطفال الذين ليس لهم آباء سوف يواجهون مشكلات مثل الكبار، ولكن هذه المشكلات ليست نتيجة مباشرة لفقدان الأب، بل قد تحدث أيضا عمليات وسيطة تتفاعل مع فقدان، وتقوم بدور في إحداث الضرر أو الاذى في الطفل مثل النبذ من الآخرين، أو الفقر، أو التفاعل المحدود مع الذكور.²⁸

3- تأثيرات السجن على الوالدين:

لقد بينت الدراسات أن الأبوين يعانيان بصورة مختلفة عن الزوجات والأطفال، فهما يكونان أكثر ميلا للتعبير عن شكوكهم في قدرة ابنهم على تحمل صعوبات السجن، ويتساءلان هل أنهم - أنفسهم - قد قاموا بإعداد وتربية الولد بطريقة تساعده على تحمل السجن ويستعيدان إحداث الطفولة التي تثبت - على الأقل في صورتها- أن ابنهما لن يتحمل العزلة والتغذية السيئة، ويبدأن بتوجيه اللوم لنفسيهما حول هذا النقص في الإعداد - حقيقيا كان أو مقصورا - وينشأ لديها شعور بالذنب يصبح من الضروري التعامل معه و تحفيفه من أجل تبيد الأسى و الحزن المخيم عليهما، وقد أثبتت الدراسات أيضا أن حزن الأب يختلف عن حزن الأم تجاه سجن ابنها فالأم- بصورة خاصة - تظهر ميلا كبيرا للتحدث عن المشكلة عن حزنها وأمالها والإحباط الذي تعانيه، في حين يميل الأب إلى عدم الكشف عن مشاعره والتعامل مع الغضب والإحباط العميق واللذين يغليان تحت غطاء (الهدوء المتقهم)، كما أن الأبوين يمران بمراحل الأسى المختلفة كما يحصل لدى الزوجات، وهما أيضا يعانيان من الأعراض الجسدية مثل فقدان الشهية والأرق والتعب، وكذلك من التفاعلات النفسية مثل الانشغال المتواصل بصور وذكريات الابن السجين .²⁹

فقد اشارت دراسة لـ " Nigel and Walker " عن الآثار الجانبية للإيداع بالسجين، فقد أشار " نيجل" لأثر الإيداع بالسجن على العلاقات الزوجية سواء في أثناء العقوبة أو بعد انقضاء العقوبة، مستندا إلى دراسة أجراها "بوليني موريس"، وقد قابل موريس 588 امرأة من زوجات السجناء وذلك عام 1965، ثم أجرى مقابلات مع عينة أخرى من السجناء (100) سجين عام 1975، بعضهم قد أفرج عنهم وبعضهم على وشك الإفراج عنهم.

وقد أوضحت الدراسة التي أجريت على زوجات السجناء إن واحدة من كل أربعة من زوجات الذين يقضون العقوبة لأول مرة لم تستمر علاقتهم بزواجهم، بينما واحدة من كل اثنين من زوجات العائدين للجريمة قد انقطعت علاقتهم بأزواجهن، وقد قال ثلاثة من كل أربعة من زوجات المسجونين لأول مرة أنهم كن سعيدات في زيجاتهم، وقالت كل المبحوثات من زوجات النساء ذوي الياقات البيضاء وأربعة كل من خمسة من زوجات السجناء لأول مرة أنهم مستعدت للعودة لأزواجهن حتى وإن كان جرائم هؤلاء الأزواج هي جرائم قتل أو جرائم جنسية، أما عينة الرجال المائة فقد أوضحت الدراسة إن كلهم كان واثقا من العودة لزوجته، أما العلاقة الزوجية بين العائدين للجريمة وزوجاتهم ومحترفي الإجرام وزوجاتهم فقد توقف الأمر على درجة التوافق بين السجين وزوجته قبل إلقاء القبض عليه وإيداعه السجن، كما اكتشفت الدراسة أيضا إن عددا غير قليل من الزوجات والأزواج السجناء يعانون من الإحباط الجنسي في أثناء انقضاء العقوبة، وكشفت الدراسة أيضا إن معظم أسر السجناء يعانون مشكلات مالية، وإن ثلاثة من كل أربعة زوجات من

زوجات السجناء لأول مرة، وأربع زوجات من كل خمسة من زوجات السجناء العائدين يتلقين مساعدات حكومية.³⁰

خاتمة:

مما سبق عرضة نجد ان هناك العديد من الآثار السلبية فرضتها عقوبة السجن، والتي تعاني منها أسر السجناء، وبناء على النتائج التي توصلت اليها العديد من الدراسات، بما فيها هذه الورقة البحثية، تم وضع بعض الاقتراحات والتي تساعد في التقليل من هذه الآثار السلبية على أسر السجناء، ومن بين هذه الاقتراحات نذكر ما يلي:

- توعية افراد اسر السجناء بالمخاطر الاجتماعية التي قد يتعرض لها أحد افراد الاسرة في حال غياب الرقابة الاسرية.
- قيام وسائل الاعلام والتعليم بمسؤوليتها في التوعية بضرورة التكافل الاجتماعي مع اسر السجناء، حتى لا يتحولوا الى افراد غير سويين وغير فاعلين في المجتمع.
- دراسة إمكانية السماح للسجناء من الخلوة الشرعية بأزواجهم وفق ضوابط شرعية وتنظيمية تسهر على تطبيقها إدارة السجن، وهذا تفاديا وتقليل حدوث بعض المشكلات الاسرية داخل السجن وخارجه (حوادث الشذوذ الجنسي التي تسجل بين السجناء، زيادة معدلات انحراف الزوجات بسبب تلبيتهن لاحتياجاتهن الجنسية بشكل غير شرعي، انتشار الأمراض الجنسية المترتبة على الممارسات الشاذة والمثلية المحرمة شرعا، انتشار الأزمات النفسية بسبب التعرض لهذه المواقف، زيادة معاناة الأزواج نفسيا رغم أنهم غير مسئولون عن جرم البعل).
- المساهمة في تقديم الخدمات الاجتماعية والاقتصادية لأبناء السجناء، وحل المشكلات والعراقيل التي تعترض سير دراستهم نتيجة لغياب عائلهم.

الهوامش:

- 1 - سلام، إيهاب، مكي، عادل، سالي، احمد عبد الحكم، عبد العزيز، عصام. (2001). أسر بلا عائل. مركز حقوق الإنسان لمساعدة السجناء.
- 2 - الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. المادة 58. 28. دستور نوفمبر 1996. الجزائر: د ن.
- 3 - باشوش، نواره. (09 فيفري 2012). الدرك يحصي 100 جريمة يوميا. الخبر.
- 4 - بوتلجي، الهام. (01 جانفي 2012). ثلاثة آلاف جريمة قتل وسنة 2011 أكثر دموية. الشروق ص 04.
- 5 - أدرغال، رزيقة. (12 نوفمبر 2013). الجزائريون ينامون ويستيقظون على القتل والسرقة. الخبر، ص 25.
- 6 - غدير، فاروق. (14 مارس 2012). إحصاء 58 ألف محبوس في السجون الجزائرية. الخبر، ص 13.
- 7 - عبد اللطيف شلبي، نعيم عبد الوهاب. (1998). استخدام العلاج الأسري في مواجهة المشكلات الاجتماعية لأسر المسجونين في قضايا المخدرات. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، مصر، ص 60.
- 8 - فواز حسين، هيثم فوزي. (2007). المؤشرات السلوكية والانفعالية غير السوية لدى أطفال الأسرى في شمال الضفة الغربية من وجهة نظر أمهاتهم. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعه البرموك، الأردن، ص ص 06-08.
- 9 - عبد الحكيم السيد، نقين صابر. (2006). العلاقة بين ممارسة العلاج الأسري للمرأة المعيلة ومستوى الأداء الاجتماعي لها. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة حلوان، القاهرة، ص 60.

- 10 - طالب ذوقان، عرفات صبحي. (2010) . المشكلات الاجتماعية والنفسية لزوجات الأسرى الفلسطينيين وتصور
لبرنامج مقترح لمواجهتها من منظور العلاج الأسري في خدمة الفرد . رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلوان، القاهرة ،
ص ص 122-156 .
- 11 - المرجع السابق، ص ص 122-156 .
- 12 - سرمك حسن، حسين. (1995) . المشكلات النفسية لأسرى الحرب وعائلاتهم. القاهرة: مكتبة مدبولي، ص ص 120-
124 .
- 13 - المرجع السابق، ص ص 122-156 .
- 14 - المرجع السابق، ص ص 122-156 .
- 15 - المرجع السابق، ص ص 122-156 .
- 16 - يونس، مصطفى، جاد الكريم، ولاء، شريف، رندة (2008) . المشكلات والميول النفسية لأسر السجناء والمعتقلين.
مرکز ماعت للدراسات الحقوقية والدستورية، ص ص 25-26 .
- 17 - سرمك حسن، حسين. (1995) . مرجع سبق ذكره، ص ص 120-124 .
- 18 - المرجع السابق، ص ص 120-124 .
- 19 - طالب ذوقان، عرفات صبحي. (2010) ، مرجع سبق ذكره، ص ص 122-156 .
- 20 - المرجع السابق، ص ص 122-156 .
- 21 - فواز حسين، هيثم فوزي. (2007) . مرجع سبق ذكره، ص ص 08 .
- 22 - أحمد السيد محمد، إسماعيل. (1995) . مشكلات الطفل السلوكية وأساليب المعاملة الوالدية . الإسكندرية: دار الفكر
الجامعي.
- 23 - رمضان، رشيد عبد الرؤوف. الصحة النفسية للأبناء. القاهرة: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.
- 24 - المطيري، حامد نهار. (2000) . الاضطرابات السلوكية لدى أطفال الأسر الكويتية محدودة الدخل. مجلة العلوم
الاجتماعية، 3، 28، 65-88 .
- 25 - طالب ذوقان، عرفات صبحي. (2010) ، مرجع سبق ذكره، ص ص 122-156 .
- 26 - فواز حسين، هيثم فوزي. (2007) . مرجع سبق ذكره، ص ص 08 .
- 27 - أنسى محمد، قاسم. (1998) . أطفال بلا أسر. القاهرة: مركز الاسكندرية للكتاب.
- 28 Glasser ,B.Freedman ,J,A.(1979). Clinical Sociology.NewYork :Longman,p38.
- 29 - سرمك حسن، حسين. (1995) . مرجع سبق ذكره، ص ص 120-124 .
- 30 - عبد الغني غانم، عبد الله. (2009) . مشكلات اسر السجناء ومحددات برامج علاجها. الرياض: جامعة نايف العربية
للعلوم الأمنية، ص 29 .